

المدارس التاريخية الكبرى الملامح والتطور

أستاذ مشارك
قسم التاريخ والحضارة جامعة أم درمان الأهلية

د. هاجر أبو القاسم محمد الهادي

المستخلص:-

تزايدت القناعة بأهمية المنهج العلمي في الكتابة التاريخية في عالم سريع التحول والتبدل وأصبح المؤرخ مزوداً بمادة علمية راقية المنهج تجعله قادراً على تحليل وتفسير الأحداث التاريخية وفقاً للأدلة العلمية، ويصبح علم التاريخ في مقدمة العلوم التي تستند إلى المناهج العلمية الأصيلة. تشرح الورقة مفهوم التاريخ وأهميته كمدخل لأهمية الكتابة التاريخية، وتبين ملامح المدارس التاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث محاولة إبراز نظريات المدارس التاريخية الكبرى ومناهجها في تفسير الأحداث التاريخية، وتباينت وجهات النظر الفلسفية لتفسير التاريخ، وأياً كانت وجهة انطلاق هذه المدارس سواء أكانت دينية أو مادية أو تقدمية أو إسلامية فإن المنهج المتكامل والشامل للكتابة التاريخية هو ضرورة استصحاب كافة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في رؤية الأحداث والوقائع التاريخية دون التركيز على عامل دون آخر حتى نصل إلى منهجية علمية سليمة لكتابة التاريخ.

كما بينت الورقة اتجاهات المؤرخين السودانيين في الكتابة التاريخية ومدى تأثرهم بالمنهجية العلمية الأوربية، وأشارت إلى نماذج من هؤلاء الكتاب والمدارس التاريخية التي تأثروا بها.

تهدف الدراسة إلى تبيين أهمية المدارس التاريخية ونظرياتها الفلسفية في تحليل وتفسير الأحداث التاريخية وضرورة الوصول إلى منطلقات سليمة في تفسير الوقائع التاريخية والبحث عن دور تكاملي للمدارس التاريخية في تفسير التاريخ وتستخدم الدراسة منهج البحث التاريخي الذي يستند على عرض وتحليل الأحداث التاريخية، وتوصل البحث إلى ضرورة استصحاب كافة العوامل المادية والروحية في تفسير التاريخ.

Abstract

The conviction in the importance of the scientific method in historical writing increased in a rapidly changing world, and the historian became equipped with a sophisticated scientific material, the methodology that makes him able to explain and interpret historical events according to scientific evidence, and the science of history becomes at the forefront of sciences that are based on the original scientific methods.

The paper explains the concept of history and how critical it is, as an introduction to the importance of historical writing. It shows the features of historical schools from ancient times until the modern era, attempting to highlight the theories and methods of major historical schools in the interpretation of historical events. There were different backgrounds for historical interpretation. Either it was philosophical, progressive or Islamic, we could conclude that the integrated and comprehensive approach to historical writing is the necessity of accompanying all social, economic and political aspects in seeing historical events and facts without focusing on one factor over another until we reach a sound scientific methodology for writing history.

The paper also showed the trends of Sudanese historians in historical writing and the extent of their impact on the European scientific methodology, and it indicated examples of these writers and the historical schools that they were affected by.

The study aims to show the importance of historical schools and their philosophical theories in analyzing and interpreting historical events, the need to reach sound starting points in the interpretation of historical facts and the search for an integrative role for historical schools in the interpretation of history. The study uses the method of historical research that is based on the presentation and analysis of historical events. The study concluded that the necessity of accompanying all physical and spiritual factors in the interpretation of history.

المقدمة:

تشرح الورقة مفهوم التاريخ وأهميته كمدخل لأهمية الكتابة التاريخية، وتبين ملامح المدارس التاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث في محاولة لإبراز النظريات الفلسفية التاريخية ومناهجها المختلفة. كما بينت الورقة بداية التدوين التاريخي، وأهمية الكتابة التاريخية وتطورها، واختلاف المدارس التاريخية في منهجية تفسير الأحداث التاريخية. واستعرضت الورقة المنطلقات التي استند عليها أصحاب النظريات الفلسفية في تفسير التاريخ، فمنهم من استند إلى التفسير الخرافي، كما ركز بعض الباحثين على الدافع النفسي، إلا أن معظم المؤرخين قد اعتمدوا على الجوانب المادية والاجتماعية والاقتصادية كأساس لتفسير التاريخ. وقد زاوجت المدرسة الإسلامية بين العوامل المادية والروحية للوصول إلى منهج تكاملي في تفسير الأحداث التاريخية. وأشارت الورقة إلى المنهجية الأوربية الحديثة ومدى تأثير المؤرخين السودانيين بها، مبينة مستقبل الكتابة التاريخية في السودان، وزيلت الورقة بخاتمة ونتائج وتوصيات.

مفهوم التاريخ وأهميته :

التاريخ في اللغة هو التعريف بالوقت، فيكون توقيت الشيء يؤرخ لحدوثه⁽¹⁾ ويقول السخاوي: أن كلمة تاريخ مشتقة من الإرخ «بكسر الهمزة» أو الأرخ «بفتح الهمزة» وتعني وليد البقرة الوحشية وربما كان الإرتباط بين الوليد ولفظ التاريخ قد أتى من أن الوليد قد دخل الزمن أو قد نشأ وابتدأ الحياة، والتاريخ يهتم بالنشأة والميلاد والتطور عبر الزمن⁽²⁾. واستنتج بعض المستشرقين أن لفظة التاريخ قد تكون عربية جنوبية اعتماداً على أن أول من أرخ هو يعلي بن أمية حيث كان باليمن وكتب إلى عمر كتاباً مؤرخاً فاستحسنه عمر وقال: (هذا حسن فأرخوا)⁽³⁾.

واصطلاحاً هو جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما على الفرد أو المجتمع، وهو القيام بدراسة تعتمد على حقائق الماضي وتتبع سوابق الأحداث وتفسيرها، فالمنهج التاريخي يحتاج إلى ثقافة واعية وتتبع دقيق بحركة الزمن التي تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على النص التاريخي لذلك وجب ارتباط المنهج بمستويات النقد في كل مراحل المثلة في التفسير والتأويل والتنقيح والحكم كروية واقعية ترتبط بالزمن والعصر⁽⁴⁾.

عرفه عبدالرحمن بن خلدون بأنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش

والتأنس والعصبيات، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع ، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال⁽⁵⁾.

كما عرفه بأنه فن من الفنون التي تناولتها الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأفئال ويتساوى في فهمها العلماء والجهال، إذ هو في ظاهرة لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيه الأقوال. وتؤدي لنا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمرها الأرض حتى نادى بهم الترحال⁽⁶⁾.

وعلم التاريخ هو نوع من أنواع البحث العلمي يهدف للكشف عن جهود الإنسان في الماضي وهو سلسلة من الأحداث⁽⁷⁾، والتاريخ يعني قيد الحوادث ويهدف إلى معرفة الأجيال والرواة عنهم⁽⁸⁾. ويشمل التاريخ الماضي والحاضر والمستقبل وهو نهر الحياة المتجدد⁽⁹⁾، وقد ظهر في اليونان في العصر الخامس قبل الميلاد⁽¹⁰⁾.

علم التاريخ يعني الفاعلية الفكرية الإنشائية لكتابة الماضي وما وراء التاريخ Metahistory يعني البحث عن القوى والعوامل ألتب تسير التاريخ، وأن التاريخ هو علاقة الإنسان بالزمن والأرض، التاريخ هو الماضي الذي تملك عليه دليلاً تاريخياً¹¹.

والإهتمام بالتاريخ ليس قاصراً على المتخصصين والباحثين في مجاله ، بل هو مجال يستهوى كافة شرائح المجتمع مما جعله أوسع الدراسات لأنه سجل للأعمال البشرية ، وراصد لمعظم أوجه الحياة مع تفسير وتحليل وتعليل للحوادث والوقائع ، وتوضيح لأسباب ارتقاء الإنسان وانحداره وتدهوره عبر العصور المختلفة⁽¹²⁾.

وسرت في الدراسات التاريخية ما يسمى بالنزعة الطبيعية كإنعكاس لمنهج العلم الطبيعي على التاريخ⁽¹³⁾.

بداية التدوين التاريخي:

تختلف الآراء حول بداية التدوين ، فهناك من يرى أن التدوين بدأ في مصر القديمة بينما يرى فريق آخر أن بداية التدوين كانت في العراق.

وأقدم الحضارات التي وصلتنا منها أخبار مسجلة هي حضارة مصر وسومر وبابل والصين من خلال ما نقشوه على الحجر والطين وجدران المعابد والقصور ، وحينما تأثرت الثقافة المصرية القديمة بالثقافة الإغريقية ، ظهر أثر هذا التدوين التاريخي في القرن الثالث قبل

الميلاد ، والجدير بالذكر أن البابليين والآشوريين قد تقدموا قليلاً على قدماء المصريين في جميع الوثائق التاريخية⁽¹⁴⁾.

كما تفوق الصينيون على سائر الأمم الشرقية في التدوين التاريخي والسبب في ذلك فرط إهتمامهم بأخبار أسلافهم ، كما ارتبط تاريخ الهند القديم بالأساطير، وليس لهم تاريخ قومي مكتوب لتعدد الأجناس والشعوب وبالتالي تعدد اللغات والعادات والتقاليد.

غير أن بداية ظهور التاريخ العلمي ارتبط بكتابات بعض المؤرخين الإغريق وبنظرتهم وفهمهم للتاريخ ومنهم هوميروس (صاحب ملحمة الإلياذة والأوديسا) والتي حوت جوانب تاريخية ومعلومات وافرة عن المجتمع الإغريقي، وفي القرن السادس قبل الميلاد بدأ المؤرخون الإغريق يحررون تاريخ بلادهم من الأساطير وكان هذا تطوراً مهماً في التدوين التاريخي أي ظهوره كعلم بالمعنى الحديث ، وفي القرن الخامس قبل الميلاد ظهر هيرودتس الذي يعتبر أول المؤرخين الإغريق على الإطلاق ، وقد وضع هيرودتس ومن جاء بعده النظرية العلمية للتاريخ التي أتمت بالدقة ، والكشف عن أسباب الحوادث ، وبالموضوعية العلمية.

أما عن التدوين في القرون الوسطى (الرابع الميلادي) فقد تزامن مع انتصار المسيحية على الوثنية الرومانية وأصبح بعدها التاريخ خاضعاً للكنيسة ورجالها وتمحورت الكتابة حول أخبار القديسين والبابوات ومعجزاتهم وكراماتهم⁽¹⁵⁾.

تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي :

على الرغم من أن نشأة علم التاريخ عند العرب إرتبطت بظهور الإسلام إلا أنهم كانت لهم نظرتهم الخاصة للتاريخ فقد كانوا يتناقلون أيامهم وأحداثهم عن طريق الرواية الشفوية والأشعار والأخبار ، ولم يكن للعرب تاريخاً مدوناً باستثناء بعض النقوش على المباني القديمة في اليمن والجزيرة ولم تكن هناك مدونات تاريخية عن الأحداث السابقة للإسلام.

ولما جاء الإسلام وقامت الدولة الإسلامية أصبحت الحاجة ماسة لتدوين التاريخ ، فأقترن التاريخ عند المسلمين بتفسير القرآن الكريم ورواية الحديث النبوي كما أهتم بدراسة السير والمغازي.

ومن أشهر كتب السير والمغازي ابن اسحق ت 152هـ والتي أختصرها ابن هشام ت 218 هـ وهناك الواقدي وابن سعد ، وكان مركز نشاط الحركة التاريخية بمكة والمدينة ، وعندما اتسعت الدولة الإسلامية شرع المؤرخون في التدوين التاريخي في القرن الثاني الهجري بالاعتماد في الكتابة التاريخية على

الكتب التاريخية التي كتبها الأولون بالإضافة إلى الذاكرة والحفظ ، وتحرروا تدريجياً من طريقة الإسناد ، وأكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة أمثال اليعقوبي ت 284 هـ والمسعودي ت 346 هـ⁽¹⁶⁾.

الطبري هو أحد كبار المؤرخين المسلمين الذين قاموا بإسهامات عظيمة في مجال التاريخ، ويعد كتاب تاريخ الأمم والملوك أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب وصاغه في طريق إستقرائي شامل بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان، وأكمل ما قام به المؤرخون قبله كاليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد، ومهد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي وابن الأثير وابن خلدون.(توثيق)⁽¹⁷⁾

إلا أنه يؤخذ على الطبري في منهجه أنه اكتفى بالاسناد في الأخبار دون تمحيصها ونقدها والتدقيق فيها ، فالمنهج النقلي منهج قاصر وذلك بتعطيل حجج العقل واستنباط الفكر، وهذا لا ينفي القيمة الفلسفية الكبيرة لكتاب الطبري لكنه يحتاج إلى التمحيص والتدقيق⁽¹⁸⁾.

وأخذت الكتابة التاريخية أشكالاً عدة فظهرت أنماط من التاريخ مثل التاريخ الحولي ، ثم التاريخ حسب الموضوعات ، والتاريخ حسب الأنساب والطبقات والتواريخ العالمية وغيرها.

وتطور علم التاريخ عند الغربيين ونال دفعة كبيرة بفضل جهود مدرسة برلين وقائدها فون رانكه (1795-1866) وألتي توجت بأن أصبح التاريخ علماً قائماً بذاته له أصوله وقواعده وكراسيه وأقسامه في الجامعات، ودعا رانكه إلى معرفة الأحداث والأحوال الماضية كما كانت تماماً، مما دفع إلى الاهتمام بالوثائق ومخلفات الماضي اهتماماً بالغاً ، فوضع رانكه الأسس العلمية للنقد التاريخي وعمل على تأكيد مغزى الأحداث واستمرارها وإدراك حركة التطور التاريخي⁽¹⁹⁾.

تنطلق المسألة من رؤيتنا لأحداث الماضي بصورة مباشرة من تأثرنا بالعصر الحاضر ومفاهيمه أي أننا نرى الماضي بمرآة الحاضر ، فالماضي لا وجود له في ذهن المؤرخ كما يقول كروتشه ، وذلك يعنى ان كل التاريخ تاريخ معاصر، وأن حقائق التاريخ لا تستمد أهميتها إلا بما يصبغه التفسير عليها. وعمل المؤرخ يتم بمرحلتين أولاهما : تنظيم الوقائع والكشف عن تفاصيلها وتثبيت الحقائق المتصلة بها بعد نقدها ، ولا قيمة للتاريخ الذي يعطيه هذا العمل إلا من حيث كونه مادة أولية للمرحلة الثانية التى هي عملية تحليل الوقائع وتعليلها وبيان ترابطها النسبي ، وهذا عمل فكري تجريدي شبيه بالعلم في البحث عن الأسباب والعلل⁽²⁰⁾.

وفي نظرية المعرفة يدعو الكثير من العلماء والفلاسفة إلى المنهج التاريخي بمعنى تفسير اللغة والثقافة والدين حسب السياق التاريخي ، ويرفض أصحاب هذا الاتجاه النظريات التي لا تعد الزمان عنصراً في تفسير الأحداث واستخدام لفظ التاريخية عموماً للدلالة على معنيين الأول يؤكد أن مجرى التاريخ تحدده قواعد عامة ، والثاني أن معرفة هذه القوانين يمكننا من التنبؤ بالمستقبل باعتبار أن هناك سنناً تحكم تطور المجتمعات ومجرى التاريخ⁽²¹⁾.

التاريخ وكيف نفسره:

ما المقصود بتفسير التاريخ ؟ ولماذا نفسره؟ وما صلة ذلك بمنهج البحث وفلسفة التاريخ؟ وماهي مدارس اتجاهات التفسير في العصر الحديث بدءاً من التفسير اللاهوتي وحتى تفسير ارنولد توينبي ؟، وهل ثمة قانون وراء أحداث الماضي ؟، وماهو واجب المؤرخين إزاء الرؤى والاتجاهات التي قدمها اصحابها لتفسير الماضي⁽²²⁾؟.

العلاقة بين التفسير والتعليل :

أولاً يجب التفريق بين التعليل والتفسير فالتعليل هو ذكر سبب الواقعة أو الموضوع المحدد، التعليل يعنى البحث عن العلل والأسباب وهذا يوصل بالأحداث التاريخية الجزئية أو موضوعات محددة يتناولها المؤرخ، أما التفسير فهو امتلاك رؤية لفهم مسار حركة التاريخ والقوانين التي تسيـره ، واستنباط الحقائق الكلية التي تحدد مساره⁽²³⁾، و ابراز العوامل المسيرة لحركة التاريخ مما يفضى إلى استنتاج قوانين وراء حركة التاريخ⁽²⁴⁾.

قد تكون الرؤية مثالية عقلية أو دينية إيمانية أو مادية اقتصادية أو متصلة بعبادة الفرد والبطولة أو مرتبطة بالحضارة ودوراتها وأياً كانت دوافع الرؤية لتغيير التاريخ فلا بد من وضع تصور كامل لتفسيره يستصحب كافة المنطلقات المادية والروحية والعلمية والفكرية لتصل إلى ابراز حقيقي للعوامل التي تسيـر حركة التاريخ⁽²⁵⁾.

المدارس التاريخية الكبرى :

المقصود بتفسير التاريخ هو البحث عن العوامل المؤثرة في مسيرة التاريخ، وغالباً ما تكون هذه العوامل أو الدوافع هي نفسها البواعث التي تدفع الإنسان للحركة والتصرف، والتي تصبغ عمله وتصرفه وحركته بسمات خاصة، وهذه الدوافع فردية أو جماعية هي العناصر الكامنة وراء حركة التاريخ⁽²⁶⁾.

المدارس التاريخية هي مدارس ارتبطت بجماعة من المؤرخين والفلاسفة، لكل مدرسة فكرها ونظرياتها وفلسفاتها التي تحاول عن طريقها تفسير وتعليل حركة التاريخ ، أي هي محاولات لاستكشاف أحداث التاريخ الماضية وعللها وأسبابها ، وهي في الواقع الاجابة عن سؤالين جوهرين هما لماذا وقعت حادثة تاريخية ما ؟ ، وكيف حدثت ؟ ، ولماذا اتخذت تلك الحادثة شكلها المعين؟⁽²⁷⁾

هذه هي فلسفة التاريخ التي تقوم على فكرة أن التاريخ يحكمه قانون ما ، ولا بد من الكشف عن القوانين العامة التي تحكم التاريخ ، ولعل لكل مدرسة في تفسير التاريخ نظريتها التي تستند فيها لعامل واحد او لعدة عوامل كقوانين مسيرة للتاريخ ، فمنهم من يرى الآلهة أو الأرواح هي القوى المحركة للكون ، وفي العصر الحديث قوي الإيمان بالعلم ، فأخذ الناس يتطلعون إلى العوامل الطبيعية والاجتماعية المؤثرة في الحياة الإنسانية⁽²⁸⁾.

هناك من يرى أن الجنس البشري أو العرق هو القوة المحركة لمسار التاريخ باعتبار أن هناك خصائص معينة تتحكم بالضرورة في صناعة التاريخ، وهذه الفكرة ترجع لاعتبارات عنصرية وهي فكرة تفاضل بين الأجناس البشرية ، وهذه النظرة العنصرية لا تكاد تجد صدى وقبولا من الباحثين في العصر الحديث⁽²⁹⁾.

التفسير الجغرافي للتاريخ:

عادة ما يبدأ الباحث بتوطئة جغرافية يحدد بها الحدود المكانية للدولة التي يؤرخ لها، ولا يكتفي بالحدود السياسية، بل يورد بعض اللوحات الجغرافية الخاصة بالمنطقة، أو يقدم الحقائق الجغرافية التي تخدم بحثه، غير أن التفسير الجغرافي للأحداث التاريخية قد يقود إلى أخطاء جسيمة⁽³⁰⁾، ولا ننكر علاقة البيئة بالإنسان، فالأحداث التاريخية تتأثر بالجغرافية ولكن دون أن تكون الجغرافيا هي العامل الأساسي في توجيه الأحداث التاريخية ، بالرغم من أن الجغرافيا من الشروط الأساسية للبحث العلمي التاريخي⁽³¹⁾.

وهناك من يرى أن العامل الجغرافي والطبيعي أساساً لتاريخ الأمم والشعوب ، فيختلف تاريخ الناس باختلاف العوامل الجغرافية ، غير أن هذا المبدأ لم يجد قبولا أيضاً لدى الباحثين باعتبار أن الجغرافيا تدخل في تحديد التطور الاجتماعي والثقافي للأمم بارتباطه ببقية عوامل أخرى للتحكم في مسار التاريخ⁽³²⁾. مع الأخذ في الاعتبار أن الإنسان يستطيع أن يؤثر ويغير في العوامل الجغرافية⁽³³⁾.

وقد تبين لكثير من المفكرين أن المسألة التاريخية من التشابك والتعقيد بحيث لا يستقيم معها أي تفسير يعتمد على عامل واحد في تفسير الأحداث ، فهناك من الأحداث ما يتحدى كل تنبؤات المؤرخين وقياساتهم المنطقية في التاريخ .

التفسير الخرافي للتاريخ :

هناك حوادث تاريخية تناولها الكهان والقصاصون والشعراء بالخيال والمبالغة والتقديس حتى أخرجوها عن نطاق التاريخ إلى جو الخرافة ، وقد انتشر التفسير الخرافي للتاريخ في الأزمنة القديمة التي ارتبطت للناس بالغيبيات والأساطير ، ولكن هذا التفسير بدأ يضعف على عهد الأغريق عندما بدأ الفكر الفلسفي يسود ويقوى⁽³⁴⁾.

التفسير النفسي للتاريخ:

ركز بعض الباحثين على العواطف البشرية في تسير أحداث التاريخ، ومن القائلين بالعامل النفسي يعللون ذلك بأن الزعماء والقادة يدفعون الجماهير للحركة بإثارة عواطفهم⁽³⁵⁾، غير أن هؤلاء فشلوا فشلاً ذريعاً حين فسروا الأحداث التاريخية بالدوافع النفسية إذ قد يكون العامل النفسي يمثل جانباً صغيراً مع غيره من العوامل التي تؤثر في مسار حركة التاريخ ولكن حتماً لن تكون هي المؤثر الأساسي في اتجاه حركة الأحداث التاريخية.⁽³⁶⁾

التفسير الديني للتاريخ :

نظرية التفسير الديني أو اللاهوتي للتاريخ التي تقوم على أساس الاعتقاد بأن هناك قوى محركة لجميع الأحداث والأعمال البشرية ، هذه القوى تمثلها «الارادة الإلهية» وهذه القوى تفرض سلطانها على البشر وجميع أعمالهم على نحو معين ، وتقودها تجاه مصير محتوم ومحدد بشكل لا يمكن الخروج عليه أو تعديله، ونجد أن أوغسطين قد ربط أحداث الأرض بإرادة الرب التي تحكم العالم وتسيره ، وأن الرب قد قسم البشر إلى فئتين مؤمنة تعبد الرب ، وكافرة تعبد الشيطان، ومصيرهما هو التصارع حتى نهاية الأيام. كان هذا الاتجاه في العصور القديمة حيث كان الحكام والكهان يشرعون القوانين ويطبقون الأحكام على أساس أنها مستمدة من التشريع الإلهي، ومن ثم فإن مخالفتها تستوجب العقوبات القاسية التي قد تصل للموت⁽³⁷⁾.

ولعل أهم ما يعيب هذا المنهج هو أنه يتجاهل دور البشر في جميع التاريخ ومصادره محدودة تقتصر على النصوص المقدسة وتفسيراتها حيث يصعب النقد والتحليل فيها، واستمرت تلك النزعة اللاهوتية حتى أواخر القرن الثامن عشر⁽³⁸⁾.

ويشير هذا التفسير إلى اعتبار التاريخ مسرحاً لتحقيق إرادة الله في الأرض، وهذا يعني أن الخالق سبحانه وتعالى دوره الفعلي في تسيير حياة الناس، وهذا يعني أن الإنسان مسير في تصرفاته إلى حد كبير ، وأن مجال الاختيار في مسيرته تلك محدودة ، وبناءً على هذه النظرية يفسر المؤرخون القائلون بها لماذا أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء ، وتشترك الأديان التوحيدية الثلاثة في هذه النظرية ، فهي كلها تربط ربطاً لا انفصام فيه بين الله والتاريخ ، وعلى هذا الأساس تبني اليهودية نظريتها على تاريخ الشعب اليهودي وتفسر التاريخ تفسيراً دينياً ، وأن الجنس اليهودي هو شعب الله المختار ليؤدي إلى الأرض رسالة السماء ، كما قالت المسيحية بهذا التعليل الديني لحوادث التاريخ ، وكذلك جاء الإسلام ليؤكد أن حياة البشر وتاريخهم بداية ونهاية وهدفاً تسيير إليه ، وقد سادت هذه النظرية الدينية للتاريخ عند العديد من المؤرخين في العصور الوسطى⁽³⁹⁾.

وهذا النوع من التفسير شائع بين الباحثين اليهود وهم يتخذون التوراة مصدراً للتاريخ رغم ما اعترأها من تشويه و تبديل⁽⁴⁰⁾.

وهكذا اتخذ تفسير التاريخ في العصور الوسطى في نظر بعض الفلاسفة طابعاً لاهوتياً، واعتبروا ذلك نوعاً من الأباطيل، لأن مهمته صارت الوعظ والإرشاد، فضلاً عن تجاهل هذا التفسير لدور البشر في صنع أحداث التاريخ، أو جعله دوراً ثانوياً محدداً. لكن يبقى من هذه النظرية - نظرية العناية الإلهية - أنها أول محاولة تعبر عن نظرة كلية للتاريخ لتفسير معناه ومسار وقائعه⁽⁴¹⁾.

التفسير التقدمي للحضارة عند الفلاسفة التنوير (نظرية التقدم):

ومع بداية عصر النهضة الأوروبية ونمو الحركة الإنسانية والعقلانية وازدياد التطور العلمي خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وظهور ما سمي بعصر التنوير وبروز النزعة الطبيعية بفضل اكتشاف قوانين «نيوتن» للجاذبية، و«جلبرت» للمغناطيسية و«هارفي» للدورة الدموية واكتشافات «بويل» في الكيمياء ، كل هذا كرس الاتجاهات العلمية وانعكس بدوره على الدراسات التاريخية، فبرزت النزعة التقدمية التي سادت عصر التنوير في مقابل سلطة الدين، ووصل التيار النقدي إلى غايته بمحاولة إخضاع الوقائع التاريخية الواردة بالكتاب المقدس للنقد، كما برزت النزعة الإنسانية التي تعلي قدر الإنسان وتدعو لتحريره من سلطة الدين الذي يعتبره وارثاً للخطيئة الأولى ، فأصبحت أفعال الإنسان موضوعاً للتاريخ بصرف النظر عن التقييم الديني لها ، واستبعدت أي قوى غيبية تسيير مصير التاريخ البشري ، كما بدأ التعليل الميتافيزيقي للتاريخ الكلي يضعف تدريجياً.

وقد رأى فولتير كذلك أن وقائع التاريخ تعوزها الحكمة أو الفلسفة، ومساره ينقصه المعنى والمغزى، وذلك ما اغفله المؤرخون واهتم به فلاسفة التاريخ، كما أبدى اهتماماً واسعاً بالتاريخ للحضارات، لا الملوك ولا السياسة ولا الحروب⁽⁴²⁾.

التفسير البطولي للتاريخ :

ويعتبر البطل في التاريخ هو النموذج الذي سجلت لأجله الأحداث مما يتوافق مع سجل المنجزات التي يخلدها هذا الفرد في المجتمع، والذي يعد هو المحرك وأساس أي أزمة أو ثورة أو حرب أو تغيير عظيم يؤثر على المجتمع وأفراده، ومن أهم منظري هذا الاتجاه في الأزمنة الكلاسيكية بلوتارك Plutarch وفي العصور الحديثة هاربرت سبنسر harpertspsencer وتوماس كارلايل Thomas Carlyle ووجه النقد لهذه النظرية لأنها تعطي مبرراً للانفراد باتخاذ القرارات في الحكم وهو ما قد يؤدي إلى الديكتاتورية⁴³.

وأصحاب هذه المدرسة يرون أن صانعي التاريخ هم عظماء الرجال فهم القوة التي تحرك التاريخ، فالفرد هو الذى يقود أمتة ويتغلب على أعدائها ويقيم دعائم ملكها، بل هو الذى يخلق تاريخها وحضارتها، لذلك نرى أن أهمهم ترفع من شأنهم وتحيطهم بهالة من التبجيل والتقدير، والتاريخ في نظر هؤلاء مرتبط بشخصيات السياسة والقادة العسكريين كالاسكندر الأكبر وقيصر وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم، ولكن هذه النظرية جاءت منافية لروح العصر لا سيما في أوروبا إذ أن المجتمعات الديموقراطية تقف من هذه النظرية موقفاً فيه شئ من الحذر والتشكيك لاسيما البطولة السياسية لاقتراان هذه البطولة بالاستتثار بالسلطة، والعمل على اضعاف المؤسسات الديموقراطية وخوفاً من أن تنقلب الزعامة السياسية إلى دكتاتورية، وذلك أمر سهل الحدوث⁽⁴⁴⁾.

التفسير الاجتماعي للتاريخ :

وضع ابن خلدون قواعد لتفسير التاريخ على أساس اجتماعي ونفى أن يكون هناك أثر للخرافات في تحليل حوادث التاريخ، وبرهن أن حوادث التاريخ مقيدة بقوانين طبيعية واجتماعية لا تستدعي بقية ظواهر الكون. فهو من أوائل الذين اهتموا بالتعليل الصحيح للتاريخ وأول من كتب في فلسفة التاريخ، ولعل أهم خصائص منهج ابن خلدون هو التفاته واهتمامه بالقوانين الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر التاريخية، فمثل هذه الظواهر تحكمها قوانين ثابتة شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعية⁽⁴⁵⁾. وهو يركز على حقيقة أساسية هي أن أحداث التاريخ يفسر بعضها بعضاً⁽⁴⁶⁾.

التفسير الوضعي للتاريخ :

المذهب الوضعي يطالب بأن لا يتجاوز الفكر الانساني الظواهر الطبيعية ، ويعتبر العلوم الطبيعية مثلاً للمعرفة اليقينية ، فالعلم وحده هو المعرفة اليقينية ، لذلك ساد العلم ، وانعكس ذلك على التاريخ فيما يعرف بالمذهب الوضعي ، ومن رواد هذا الاتجاه عالم الاجتماع . ومؤسسه الشهير «أوجست كونت (1798-1857) ، الذي يرى أن علم الاجتماع هو بداية كل فلسفة حقيقة ونهايتها»⁽⁴⁷⁾.

التفسير المثالي (العقلي والروحي) :

وتنطلق «مدرسة المثاليين» أو التفسير العقلي للتاريخ والتي مثلتها فلسفة هيجل (1770-1831) خير تمثيل (وبلورها «مومسن» ، «مشيليه» ، «ورانكه» بل و «كولنجود» مع بعض الاختلافات ؛ من جعل الذات وليس الموضوع هي محور المعرفة التاريخية ، والذات هنا هي روح عقل المؤرخ ، بينما الموضوع هو حقائق التاريخ أو مخلفاتها . ويرى هيجل أنه لا بد من الفحص النقدي للتاريخ ، أي استخدام مناهج البحث للتحقق من صحة الوقائع ثم تقديم وجهة نظر المؤرخ عن مسار التاريخ ككل .

التفسير الاقتصادي أو المادي للتاريخ :

هو التفسير الذي قدمه «كارل ماركس» (-1818 1883) و«فريدريك انجلز» (1820-1895) ومن ساروا على هدى فلسفتهم ، رغم أن ثمة اراءات سبقتهم عند «سان سيمون» (1760-1825) الذي عكف على دراسة التاريخ الأوربي منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ورآه صراعاً بين الطبقات ومثل «أوغسطين تييري» (-1795 1856) الذي درس جمهور الناس (الطبقة الثالثة)، ليعمق فكرة دور الطبقة الثالثة باعتبارها مصدر الثورة وأساس الانتاج، وصراعها مع الطبقة القوية المستتدة ، وهاجم فكرة دور الأبطال في صنع التاريخ⁽⁴⁸⁾.

وكثير من الهجرات الجماعية عبر التاريخ لا يمكن تفسيرها إلا تفسيراً اقتصادياً ، وتحركات القبائل العربية كانت بحثاً عن الكلاً والماء، وحركة الكشوف الجغرافية التي قادها البرتغاليون كان هدفها الأساسي الوصول لبضائع الهند ومع هذا فإن الاغراق في التفسير الإقتصادي كثيراً ما يجنح بالباحث عن الطريق السليم⁽⁴⁹⁾.

نظرية التحدي والاستجابة عند توينبي :

إن فكرة التحدي والاستجابة challenge and response إذن تعتبر مفتاح لنظرية التاريخ ، ومن المهم ملاحظة أن توينبي كان مؤرخاً - لا فيلسوفاً - وأنه توصل لنظريته بعد دراسة تاريخية واسعة شاملة ، فاكتملت آراؤه مميزة كبرى ، فدرس التاريخ على أنه كل واحد ، أو تجربة واحدة تمت على مراحل أو دورات ، لقد بدأ من سبقوه بدراسة تاريخ المصريين القدماء للإغريق والرومان ، ثم استمروا حتى القرن التاسع عشر ، فجاءت دراستهم ناقصة في فهم التجربة الانسانية ، أما توينبي فقد أنفق جهداً ضخماً في فهم تجارب أمم الشرق جميعاً ، بل والهنود الحمر ، فكانت دراسته للتجربة الإنسانية أعم وأشمل ، كما شمل تاريخه الاحساس بوحدة الإنسانية وتجربتها الحضارية . والملاحظة الهامة التي تميز نظرية توينبي أنها ترد الحضارات إلى الأديان ، فالامبراطوريات ليست هي مقياس الحضارة ، بل هي تمثل مرحلة انهيار الحضارة ، بينما الأديان هي التي تسير مجرى التاريخ ، ووراء كل من الحضارات القائمة الآن ديانة عالمية ، ويستبعد توينبي عامل البيئة الجغرافي بمفرده ليقاظ الجنس البشري وصنع الحضارة ، كما يؤكد اخفاق نظرية الجنس (العرق) في تفسير الحضارة ، فلا تقوم الحضارات نتيجة لعوامل جغرافية أو عرقية ، والظروف الصعبة هي التي تستحث الإنسان على التحضر وتدفعه إلى التطور والتقدم⁽⁵⁰⁾.

التفسير الإسلامي للتاريخ :

التفسير الأوروبي ليس هو التفسير النهائي ففي الغرب تفسير للتاريخ الليبرالي والمادي وهما لا يختلفان كثيراً في الجوهر ، فهما يتناولان من حياة الإنسان الجوانب الأقرب إلى عالم المادة وعالم الحس ، ويهملان الإنسان الكل الذي يشمل الجسد والروح و يختلف التفسير الإسلامي للتاريخ في نظريته المبدئية للإنسان ، فهو ذا منزلة رفيعة هي خلافة الله في الارض « وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » (البقرة 30) ، فالتفسير الإسلامي للتاريخ يضع أمام أعيننا ضرورة مراعاة السنن الربانية التي تحكم الحياة البشرية ، والتي من خلالها يجرى قدر الله ، فلا بد من دراسة التاريخ من هذه السنن ، فهو تفسير واقعي يسجل الحوادث بواقعية ، ويقرر مبدأ تداول الحضارة بين الناس « وتلك الأيام ندولها بين الناس » (ال عمران 140).

والتفسير الإسلامي للتاريخ يقرر أن الحضارة تسقط إذا ما أصاب الخلل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

فهي في الجانب السياسي تسقط الحضارة إذا تسلم السلطة حفنة من

المترفين والطغاة الظالمين ، وفي الجانب الاقتصادي إذا أصبح المال حكراً على فئة دون فئة فيحل الدمار والخراب «وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» (الاسراء 16) .

ويكون الفساد الإجتماعي في فساد العلاقات بين الناس وفقدان التوازن بين متطلبات الانسان الروحية والجسدية⁽⁵¹⁾.

لقد حرص المؤرخون على تدوين الأحداث والأخبار بدقة وموضوعية وحياد ونزاهة وهي التي تشكل الرؤية الإسلامية لعلم التاريخ ومن أجل توثيق الحقائق . حرص المؤرخون المسلمون على التأكد من صدق الرواة ، ومن اتصالهم بعضهم ببعض ، حتى المصدر الأعلى للخبر ، وسمى هذا المنهج بالاسناد ، كما سمي البحث في صدق الرواة وعدالتهم ب «الجرح والتعديل ، وشاعت هذه الروح العلمية العظيمة في كل المجالات العلمية ، ووجدنا بعض كتب التاريخ تصطنع المنهج نفسه ، ومن أشهر هؤلاء المؤرخين المسعودي والطبري والبلاذري ، والمقريزي وابن عبد الحكم وابن مسكويه وابن خلدون⁽⁵²⁾.

يرى أصحاب التفسير الإسلاميان التفسيرات الغريبة، المثالية أو الليبرالية، أنها تفسيرات مادية أو اقرب إلى المادية ، باعتبارها تهمل «الإنسان الكل» الذي يشمل الروح والجسد ، ويشمل عالم الضرورة وعالم القيم المطلقة من قيد الضرورة . وهو يختلف في رؤيته للإنسان والقضايا المتعلقة به والتي تكون في معظمها تاريخه ، ويقرر هذا التفسير أن التاريخ البشري هو تحقيق المشيئة الربانية من خلال ما أتاحتها للإنسان على الأرض ، وبحسب سنن معينة قدرها الله في الحياة الدنيا ، والتاريخ هو سعي الإنسان لتحقيق ذاته كلها وليس البحث عن الطعام أو السيطرة والتملك.... الخ ، وتحقيق كل ما يشتمل عليه الإنسان من طاقات وقدرات وتطلعات وأشواق إلى جانب الضرورات القهرية والرغبات ، ثم هو تاريخ الفرد والجماعة في تفاعلها وتشابكها وتدافعها الذي لا ينتهي ولا يتوقف⁽⁵³⁾

ونستطيع أن نقسم المدارس التاريخية الإسلامية إلى أربع مدارس :

مدرسة التاريخ في المدينة:

هي مركز الإشعاع الفكري الحضاري لذلك كان لها دور كبير في نشأة وتطور علم التاريخ عند المسلمين ، وأهتمت بالتفسير والفقه والحديث والسيرة والمغازي. ومن روادها عبدالله بن عباس وتلاميذه أبان بن عثمان بن عفان وسعيد بن المسيب المخزومي وعروة بن الزبير الذي يعتبر من المؤسس الأول لعلم التاريخ عند المسلمين.

مدرسة التاريخ في الشام ومصر.

وكان نشاط هذه المدرسة الشامية ملحوظا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وكان امتياز إنتاج هذه المدرسة بالتخصص والإقليمية إلا أن بعضهم كان موسوعياً في كتابته. وقد أدت الوحدة السياسية التي شهدتها الشام ومصر على أيام نورالدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي في وجه التحديات الصليبية إلى تحول بلاد الشام إلى مركز ثقافي متنوع الأشكال ، وكان أشهر كتاب القرن السادس الهجري ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق و الأصفهاني ياقوت الحموي، أما المدرسة المصرية فمؤسسها هو عبدالله بن عمرو بن العاص في 65 هـ و الليث بن سعد ت 195 هـ وأبن عبدالحكم ت 257 هـ⁽⁵⁴⁾

المدرسة التاريخية في العراق:

نشأت هذه المدرسة مستقلة وكان التنافس في البداية شديداً بين البصرة والكوفة ثم دخلت بغداد ووصلت في القرن الثالث الهجري الدراسات التاريخية مرحلة أدت إلى ظهور المؤرخين الكبار ووفرة المادة التاريخية من كتب ومصادر وروايات وظهرت فكرة التاريخ العالمي ، وفي هذا القرن ظهر البلاذري وكتابه فتوح البلدان وأنساب الأشراف ، وابن قتيبة وكتابه المعارف . واليعقوبي والدينوري والطبري⁽⁵⁵⁾

مدرسة قرطبة (الأندلس):

حكم العرب الأندلس من 92 - 897 هـ (710 م - 1492م) وأعتمدت الحياة الثقافية فيها على المشرق الإسلامي، غير أن الأوضاع الداخلية أثرت على كتابات المؤرخين ، ومن أشهر المؤرخين أحمد بن محمد الرازي (مسالك الأندلس وموانئها) وابن الفرضي (تاريخ العلماء والرواة) ، ابن عبد البر ، وابن الحيان، والقرطبي ، وابن الخطيب ، وكانت فكرة التاريخ في الأندلس تتطور على نفس الأسس التي تطورت بها في المشرق⁽⁵⁶⁾.

ارتبطت محاولات تفسير التاريخ - أكثر ما ارتبطت - بإتخاذ محور أساسي تقوم عليه نظرية متكاملة وتعود المحاور في الأغلب إلى الاهتمام الرئيسي لصاحب النظرية التي تلتقي عند اختيارات من يحاول تفسير التاريخ العام، واحتلت الصدارة عند أصحاب فلسفة التاريخ عوامل متعددة منها: البطولة والأبطال، العوامل الجغرافية، الابتكار والتقليد، العوامل الإنسانية والاجتماعية والعوامل الاقتصادية... إلخ⁽⁵⁷⁾.

وهناك من الكتاب من رأى ضرورة عرض ونقد الواقعة التاريخية وربطها بالمسألة الحضارية⁽⁵⁸⁾، وهناك من أكد على ضرورة جمع وتحقيق المعلومات وذلك من خلال نقد الاصول وتحري الحقائق التاريخية وإيضاحها

وعرضها أسوة بما في علم الحديث⁽⁵⁹⁾.

ويتأثر التاريخ بنوع النظم والعلاقات السائدة والعوامل المتفاعلة في تكوينها، والمشكلات التي يجابهها الفرد والمجتمع والإنسانية، ولابد من ربط التعليل التاريخي بسواه من العلوم⁽⁶⁰⁾. لابد من ملاحظة أن عملية التداخلات بين تيارات التاريخ وانضباطها ترتبط بقواعد البحث العلمي التاريخي⁶¹.

تطور الكتابة التاريخية في السودان:

ولما كان الحديث عن المدارس التاريخية وتطورها، فلم يكن المؤرخون السودانيون بمعزل عن الحراك العام العالمي فقد تأثروا بالمدارس التاريخية في المحيط العربي والمحيط العالمي فجاءت كتاباتهم وفقاً للأوضاع السياسية والاجتماعية التي سادت آنذاك، فمثلاً غلبت على كتابة المؤرخين السودانيين في القرن التاسع عشر الاهتمام بتاريخ المهديّة والسير والانساب مما يعكس تنامي الهوية العربية الإسلامية كمعادل موضوعي للقطيعة مع الاستعمار الأوروبي المسيحي.

إلا أن منهجية كتابة التاريخ تغيرت تغييراً كبيراً بعد أن تعرف الرواد من المؤرخين السودانيين على النسق الغربي لكتابة التاريخ واعتمدوا أساليب جديدة في البحث التاريخي واستفادوا من اسهامات الأساتذة غير السودانيين في الكتابة التاريخية. وقد أشار د. علي صالح كرار إلياسهام العلماء في كتابة تاريخ السودان مبيناً التزامهم بالمنهجية العلمية، واختار إثنين من ممثلي المدرسة الأوروبية وهما البروفيسر بيتر مالكوم هولت والبروفيسر ريتشارد هل⁽⁶²⁾.

أولاً: بيتر مالكوم هولت (1918-2006)

حرص هولت على مراجعة وتطوير انتاجه الفكري وفقاً لما يستجد من أحداث ووقائع ومصادر أساسية، واتسم هولت بصفات المؤرخ الجاد والمدقق والناقد والنزيه والمتجرد، وأبان في مقدمات كتبه ومنهجه في كتابة التاريخ، وكان أول من أرخ للمهديّة إعتماًداً على الوثائق والمصادر الأساسية، واتبع منهج البحث العلمي بحرفية تامة، وبنى كتاباً متوازناً من حيث الشكل والمحتوى، واستنطق الوثائق التي يراها شاهداً على العصر، ويعد كتابه مصدراً أساسياً لمن يعتزم دراسة الثورة والدولة المهديّة في السودان⁽⁶³⁾.

ورغم انتقاد عدد من المفكرين والكتاب له إلا أن منهج هولت إتسم بدقة منهجه وموضوعيته وحرصه على النقد المتوازن.⁽⁶⁴⁾

ثانياً: ريتشارد هل: (1901-1996م)

درس ريتشارد هل تاريخ السودان، وورد إسمه ضمن هيئة تحرير مجلة السودان في رسائل ومدونات (SNR) في عام 1936 م وكانت تلك المجلة

تصدر باللغة الإنجليزية وتنفرد برعاية الحاكم العام لها ، وتعني بنشر أشتات من المعارف عن السودان، كما أصدر بيلوغرافيا السودان الإنجليزي المصري منذ أقدم العصور إلي عام 1937م وقد شكلت أساساً لماتلاها من أعمال وإصدارات ، كما أسس إرشيف السودان بجامعة درم وهو جمع وثائق ومذكرات وأوراق الإداريين البريطانيين الذين عملوا في السودان خلال فترة الحكم الثنائي ، كما صدر كتابه (مصر في السودان 1959م) ، وهو مؤرخ متميز اتسم اسهامه الفكري بالأصالة والموضوعية والتحليل والتوثيق والتجرد والحياد⁽⁶⁵⁾.

المدرسة التاريخية السودانية:

وأشار د. علي صالح كرار إلى إسهامات المؤرخين السودانيين في كتابة تاريخ السودان وفقاً للمنهجية التاريخية العلمية واختار من هؤلاء البروفيسر مكي الطيب شببكة (-1905 1980م) الذي أسهم في تأسيس قسم التاريخ بكلية غردون الجامعية ، وكان أول سوداني يحصل على درجة الدكتوراة من إنجلترا ، وتعلم أساليب البحث التاريخي وأثرى المكتبة السودانية بالعديد من المؤلفات، فاستهل إصداراته بتحقيق كتاب ملوك سنار الذي ألفه كاتب الشونة، كما ألف مكي شببكة كتاب (السودان والثورة المهدية) ، وكتاب (بريطانيا وثورة 1919م)، ثم كتابه (السياسة البريطانية في السودان 1882-1902م)⁽⁶⁶⁾. وأشار أيضاً إلى مجهودات الأستاذ المؤرخ مندور المهدي (1921-1981م) وكان له العديد من المؤلفات أشهرها (قصة جمهورية السودان 1959م)، ثم كتابه (موجز تاريخ السودان) الصادر باللغة الانجليزية عن مطبعة أكسفورد 1965م، وكان منهجه في اعداد الكتاب هو ابراز الجوانب الاجتماعية في السودان من منظور تاريخي بلغة بسيطة وواضحة خالية من المصطلحات المعقدة⁽⁶⁷⁾.

إن رواد المؤرخين السودانيين قد ساروا على نفس المنهجية العلمية التاريخية الأوروبية في الاعتماد على المصادر والوثائق وتحليلها ، كما تطور المنهج التاريخي بالاستعانة بالعلوم المساعدة في كتابة التاريخ وعلى رأسها الآثار والجغرافيا والاقتصاد والآداب والوثائق والمخطوطات وفنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وغيرها⁽⁶⁸⁾.

مستقبل الكتابة التاريخية السودانية :

وباستقراء تطور المدارس التاريخية بمنطلقاتها المختلفة برز المنهج العقلاني الاستدلالي كمحور أساسي في تفسير التاريخ بمعنى أن علم التاريخ قد تجاوز مرحلة التراكم الكمي والسرد الوصفي إلى مرحلة صياغة القوانين والنظريات التي تفسر حركة التاريخ خلال رحلة طويلة تطورت خلالها المعرفة التاريخية كما وكيفاً من حيث أنماط الكتابة التاريخية ، ومن حيث

تطور منهج البحث التاريخي وأساليبه وأدواته، وقد واكب المؤرخون السودانيون هذه التطورات وكانوا جزءاً لا يتجزأ منها. وفي هذا الإطار قدم بروفيسر يوسف فضل محاضرة في الملتقى الثاني للجمعية التاريخية، بين فيها الأسس والمفومات التي نستطيع من خلالها صياغة مستقبل الكتابة التاريخية السودانية.⁽⁶⁹⁾

و تحدث عن أهمية إستقراء الأحداث التاريخية والتثبت من مصداقيتها ونقدها وتحليلها ثم إعادة تركيبها في نمط سردي تكون أقرب للواقع وأكثر قدرة على توثيق مخرجات العلاقة الجامعة بين الماضي والحاضر وفق حركة إرتدادية⁽⁷⁰⁾.

وأشار إلى أهمية تطوير المنهجية التاريخية من خلال نقد فكرة الحدث التاريخي، ذلك أن المدرسة التاريخية السودانية وقعت في فخ قبول الحدث التاريخي والبناء عليه، والمؤرخ لابد له من جمع المادة وتفكيكها وإعادة إستخدامها لإعادة رسم الماضي وتفسيره من خلال نقد النصوص والوثائق نقداً داخلياً وخارجياً للتعرف على بنية الوثيقة وظروف إنتاجها.

كما أشار إلى ضرورة إستحداث دراسات الأمد الطويل في البحث التاريخي لأن التغييرات الاجتماعية والاقتصادية وتحولاتها تتم عادة ببطء شديد، وهناك العديد من الدراسات التي تتبنى هذا النهج منها على سبيل المثال: (كتاب العرب والسودان منذ القرن السابع حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادي)، وكتاب المؤرخ محمد سعيد القدال (الإسلام والسياسة في السودان) تناول فيه ظاهرة تاريخية هي علاقة الدين بالدولة منذ دخول الإسلام إلى السودان وحتى تطبيق قوانين سبتمبر 1983م.⁽⁷¹⁾

و أشار أيضاً إلى ضرورة توظيف التاريخ لخدمة الإنسان المعاصر في السودان كتجربة مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية من أجل أن تكون النهضة الاجتماعية والاقتصادية مبنية على المعرفة التاريخية، وضرورة تأثير تاريخ السودان في المحيط الاقليمي والعالمي⁽⁷²⁾.

الخاتمة

لقد حاول المؤرخون ايجاد منهج علمي متكامل للتاريخ من أجل الوصول إلى قواعد وقوانين تسيّر التاريخ العام للبشرية، فلجأوا إلى ما عرف عندهم بتحليل الحضارات من حيث عناصرها ومكوناتها من أجل الوصول إلى نظام واحد يشملها وقوانين وقواعد تتحكم في مسيرة التاريخ، واختلفوا في تفسير التاريخ، فمنهم من رأى أن الاقتصاد هو الذي يتحكم في اتجاه التاريخ، بينما يرى آخرون أن الدين هو الموجه لمسيرة التاريخ، وهكذا فسر التاريخ

كل حسب إيدولوجيته وفلسفته ووجهة نظره مما أدى إلى ضرورة وجود منهج علمي متكامل يشمل كل هذه المقومات التي تتحكم في مسيرة التاريخ خاصة وأن التاريخ ارتبط بالمؤثرات السياسية والعسكرية في الفترة الماضية واهملت الجوانب الفكرية والثقافية التي هي أهم مقومات الحضارة.

وتنوعت المدارس التاريخية منذ العصور القديمة حيث ظهرت المدارس الدينية اللاهوتية مروراً بالمدارس المسيحية المرتبطة بالكنيسة في فترة العصور الوسطى ثم المدارس الاجتماعية والمادية والتقدمية في العصور الحديثة وانتهاءً بالمدارس المعاصرة التي تبناها أرنولد توينبي كمدرسة حديثة تبنت دراسة شاملة للتاريخ والحضارات.

ولم تكن المدارس التاريخية السودانية بمعزل عن التطور العالمي لكتابة التاريخ و قد تأثر المؤرخون السودانيون بمنهج المدارس العربية الإسلامية ثم المدارس الأوروبية الحديثة مما انعكس على كتاباتهم ومؤلفاتهم. وللوصول إلى منهجية علمية دقيقة لكتابة التاريخ لابد من النظر إلى الوقائع التاريخية من خلال مقوماتها وعواملها المختلفة حتى نستطيع الكتابة بموضوعية ومصداقية.

نتائج الدراسة:

- علم التاريخ من البحوث العلمية التي تكشف عن جهود الإنسان في الماضي.
- ارتبطت الكتابة التاريخية بالتعليل والتفسير للوصول إلى قوانين عامة تحكم مسار الأحداث التاريخية.
- تفسير التاريخ هو امتلاك رؤية لفهم واستنباط الحقائق الكلية التي تحدد مساره.
- اختلفت المدارس التاريخية في نظرياتها حول العوامل التي تتحكم في توجيه حركة التاريخ.
- التفسير الإسلامي للتاريخ هو التفسير التكاملي السليم الذي يستصحب كل العوامل المادية والروحية في تفسير الأحداث التاريخية.

التوصيات:

- ضرورة استفادة المؤرخين من المناهج العلمية والمدارس التاريخية الفلسفية قديمها وحديثها في فحص وتحليل وتفسير الأحداث والوقائع التاريخية.
- لا بد من إبراز المدارس التاريخية ومناهجها العلمية من أجل إعادة قراءة وكتابة التاريخ بصورة جديدة تتناسب وتتطور العلوم والمناهج.
- انتهاج أو تبني وجهة نظر أيديولوجية في فهم الأحداث التاريخية تؤدي إلى قصور كبير في فهم التاريخ مما يستوجب إستصحاب كافة العوامل والمقومات في تفسير وتحليل الوقائع بحيادية تامة.

المصادر والمراجع:

- (1) تاج السر حران- المدخل إلى علم التاريخ -مكتبة الرشد الرياض الطبعة الاولى 2003م- ص14-15.
- (2) عبدالرحمن عبد الله الشيخ- المدخل إلى علم التاريخ- دار المريخ- الرياض- 1984م- ص3.
- (3) عفت محمد الشرقاوي- أدب التاريخ عند العرب - دار المعرفة بيروت - د.ت - ص212.
- (4) أحمد محمود صبحي - في فلسفة التاريخ - مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية الطبعة الثالثة 1990م - ص 11 .
- (5) ابن خلدون- المقدمة - تحقيق سعيد محمود عقيل -دار الحيل 2005م ص7.
- (6) المرجع نفسه - ص8.
- (7) كولن جود. ر.ج - فكرة التاريخ - ترجمة محمد بكير ومحمد عبدالوهاب - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - 1986م - ص43.
- (8) جلال الدين السيوطي - الشماريخ في علم التاريخ - الدار السلفية - الكويت 1399هـ - ص172.
- (9) عبدالرحمن عبدالله الشيخ - مرجع سابق - ص15.
- (10) حسين مؤنس - الحضارة - المجلس الوطني للثقافة - الكويت - 1978م - ص121.
- (11) أحمد زكريا الشلق- ما التاريخ؟ وكيف نفسره - المجلس الاعلى للثقافة 2015م- ص 115 .
- (12) علي صالح كرار - تطبيق المنهج العلمي في كتابة تاريخ السودان - نماذج -مجلة المؤرخ السوداني - العدد الرابع- 2017م -ص48.
- (13) السيد محمد بدوي - التطور في الحياة والمجتمع - دار الفكر -القاهرة - ص114.
- (14) تاج السر حران- مرجع سابق- ص20.
- (15) المرجع نفسه -ص35.
- (16) المرجع نفسه - ص37.
- (17) المرجع نفسه ص 39
- (18) أحمد عبدالرحمن - ابداعات المسلمين في العلوم الاجتماعية -مكتبة وهبة القاهرة 2008م- ص35.
- (19) علي صالح كرار -مرجع سابق - ص 47 .
- (20) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق - ص 11 .
- (21) عبدالله حسن زروق - دراسات في المعرفة والنقد في الفكر الإسلامي -مركز التنوير المعرفي - نوفمبر 2007م - ص141.
- (22) أحمد زكريا الشلق- مرجع سابق - ص 19 .
- (23) الباحثون المصريون : <https://www.egyres.com>

- (24) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق - ص 116.
- (25) المرجع نفسه - ص 117.
- (26) عبد الرحمن عبدالله الشيخ - مرجع سابق - ص 138.
- (27) المرجع نفسه ص 140.
- (28) تاج السر حران- مرجع سابق - ص 76.
- (29) المرجع نفسه - ص 79.
- (30) المرجع نفسه - ص 80.
- (31) نقولا زيادة - الأعمال الكاملة - دراسات في التاريخ - جزء 12 - المطبعة الأهلية - بيروت - 2002م - ص 422.
- (32) تاج السر حران - مرجع سابق - ص 82.
- (33) حسين مؤنس - مرجع سابق - ص 127.
- (34) تاج السر حران - مرجع سابق - ص 82.
- (35) عبد الرحمن عبدالله الشيخ - مرجع سابق - ص 141.
- (36) أنور محمود زناتي - علم التاريخ واتجاهات التفسير- مكتبة الانجلومصرية - شبكة الانترنت.
- (37) مصطفى النشار-فلسفة التاريخ -شركة الأمل للطباعة-القاهرة 2004 -م- ص 9.
- (38) عبد الرحمن عبد الله الشيخ -مرجع سابق -ص 142.
- (39) تاج السر حران- مرجع سابق - ص 82-83.
- (40) عبد الحميد صديقي - تفسير التاريخ - ترجمة كاظم الجوادي - دار القلم - الكويت - 1980م - ص 87.
- (41) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق - ص 97 .
- (42) المرجع نفسه- ص 121-129 .
- (43) الباحثون المصريون مرجع سابق : <https://www.egyres.com>
- (44) تاج السر حران- مرجع سابق - ص 85-86.
- (45) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق - ص 124.
- (46) ابن خلدون - مصدر سابق - ص 9.
- (47) احمد زكريا الشلق- مرجع سابق - ص 129 .
- (48) المرجع نفسه- ص 136-138.
- (49) عبد الرحمن عبدالله الشيخ - مرجع سابق - ص 142.
- (50) أحمد زكريا الشلق - مرجع سابق - ص 138.
- (51) تاج السر حران- مرجع سابق - ص 97.
- (52) أحمد عبد الرحمن - مرجع سابق - ص 12.

- (53) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق- ص 143.
- (54) المرجع نفسه -ص 144.
- (55) تاج السر حران- مرجع سابق -ص115-129.
- (56) المرجع نفسه ص125.
- (57) عبدالعزيز كامل - القرآن والتاريخ - دار البحوث العلمية - الكويت - 1984م - ص98.
- (58) عماد الدين خليل - التفسير الإسلامي للتاريخ - دار العلم للملايين - بيروت - 1978م- ص127.
- (59) أسد رستم - مصطلح التاريخ - المكتبة العصرية بيروت - 1955م - ص122.
- (60) قسطنطين زريق - نحن والتاريخ (مطالب وتسؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ) - بيروت - 1963م - ص144.
- (61) وجيه كوثراني - تاريخ التاريخ (إتجاهات، مدارس، مناهج) - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - بيروت - 2013م - ص235.
- (62) علي صالح كرار -مرجع سابق -ص52 .
- (63) المرجع نفسه -ص54.
- (64) المرجع نفسه - ص62.
- (65) المرجع نفسه -ص63.
- (66) المرجع نفسه -ص65.
- (67) المرجع نفسه -ص67.
- (68) يوسف فضل حسن - الكتابة التاريخية في السودان وادي النيل- الملتقى العلمي الثاني للجمعية السودانية - نوفمبر 2018م - ص 62-69.
- (69) المرجع نفسه - ص 70-72.
- (70) المرجع نفسه - ص75.
- (71) المرجع نفسه -ص76 .
- (72) المرجع نفسه-ص 77-79.